

## "هآرتس" اليوم الإسرائيلي الأخير في أراضي الباقورة



12 نوفمبر 2019 - 08:10

بقلم: نوحا شبيغل

وصل رئيس المجلس الإقليمي لغور الأردن، عيدو غرينباوم، والمتحدث باسم المجلس، عامي كزفي، أول من أمس، بعد الظهر الى قاعة صغيرة في منتزه "نهرام"، وكان لديهما توجيهات للدورية الأخيرة في الجيب. في الخارج حتى في تشرين الثاني كانت درجة الحرارة مرتفعة. بعد 25 سنة على التوقيع على اتفاق السلام بين الدولتين انتهت سيطرة إسرائيل على الجيب، وتمت إعادته إلى الأردن بعد فشل المحاولات السياسية لتمديد تأجير المنطقة. شرح غرينباوم بسرعة لعدد من المخضرمين وعدد من المراسلين كيف ستم الجولة التي في نهايتها سيتم إغلاق البوابة التي تؤدي إلى الجيب. والمناطق التي قام سكان الكيبوتسات بفلاحتها لسنوات طويلة قبل التوقيع على اتفاق السلام ستعاد إلى الأردن. "بعد انتهاء الجولة سيتم إغلاق البوابة".

دخلت قافلة السيارات إلى الجيب، وتوقفت لزيارة محطة الكهرباء التاريخية لبنحاس روتبيرغ، التي بدأ بناؤها في 1927 وانتهى في 1932. توجد هذه المحطة في الجانب الأردني، لكن حتى أول من أمس، كان الوصول إليها مسموحاً للإسرائيليين. مدير موقع "نهرام"، شاي هدار، وعد بابتسامه بأنه رغم الشائعات، فقد فحص كل الاتجاهات "ولم يبق هناك أي مخبأ". وحسب قوله: "لقد تنازلنا عن الموقع دون معركة. لم يحارب أحد من أجل المكان"، وأضاف: "عندما شاهدت، أمس، الشاحنات الأردنية، تأثرت. شعور بإضاعة الفرصة".

عضو كيبوتس "أشدوت يعقوب" من الكيبوتس الموحد والعضو السابق في لجنة إسرائيلية - أردنية تم تشكيلها بعد اتفاق السلام، ايلي آرزي، ذكر بأن هذه المحطة تم تركها في نهاية "حرب الاستقلال" عندما احتل العراقيون والفيلق الأردني المنطقة. ورغم أن المحطة بقيت في المنطقة الأردنية فإنه في اتفاق السلام وكبادرة حسن نية سمحوا لنا بالدخول إلى هناك"، قال آرزي. وعرضت عضو الكيبوتس روجيلا اميتاي صوراً من الأيام التي كانت فيها المحطة تعمل. "هذا ألم كبير"، قالت، "الآن أعرف أن هذه ستكون المرة الأخيرة". وأضافت: "نحن في لحظة حزينة ومؤلمة".

اختار غرينباوم المحطة بين الأبار وأكوام الحديد القديمة كمكان ليلقي فيه خطابه القصير الوداعي الذي لم يتمتع فيه عن توجيه الانتقاد. "هذا وداع كله بفعل الإنسان"، قال غرينباوم، "وداع يشكل سلوكاً غير صحيح من الحكومة الإسرائيلية في السنة الأخيرة". وأضاف: "نحن نخرج من هنا برأس مرفوعة". في اوساط الجمهور كان هناك شخص لم يضبط نفسه وقال: "نحن سنعود مرة أخرى إلى هنا". وخارج المبنى كانت بركة باطون هي جزء من المشروع امتلأت بسائل وردي، جزء منها قد يكون زيوتا عسكرية تتناسب مع لون السماء. أشعة الشمس ستغيب بعد قليل للمرة الأخيرة على (نهرام) تحت سيطرة إسرائيل.

سكان المنطقة غاضبون جداً على الحكومة، مؤخراً. حسب أقوالهم هي لم تكلف نفسها عناء إبلاغهم بما يحدث، وقد اضطروا إلى سماع كل شيء مباشرة من الأردنيين.

إضافة إلى ذلك لم تقم الحكومة بإرسال مندوبين للتحدث مع المزارعين الذين فقدوا أراضيهم في الجيب.

في الطريق، الذي يمر في الجيب نفسه، توقفت القافلة في محطة القطار الإسرائيلية التي كانت مليئة بالكتابات التي كتبها بالعبرية منتزهون في المنطقة منذ الثلاثينيات والأربعينيات. في الوقت الذي كان فيه تراكثور أردني يطلق الضجة وهو يمهّد الأرض أمام السيارات الأردنية الكثيرة التي كان يتوقع أن تمر على هذه الطريق منذ يوم الاثنين، كان اميتاي يلقي قصيدة "قطار الغور" لأفرايم رحمان. توسل الحضور لاميتاي بأن ينهي لأنه يجب اجتياز البوابة التي تؤدي إلى إسرائيل قبل غروب الشمس، لكن اميتاي صممت في قراءة البيت الأخير: "نتطلع إلى يوم سيعود فيه القطار القديم وهو ينثر على سطح الحقول رائحة الدخان، وسيأتي اليوم الذي فيه سيسافر جميع أبناء إسرائيل مرة أخرى في قطار مرج ابن عامر".

الأرض لا نتركها. النشطة في منظمة "أربع أمهات"، اورنا شمعوني، والدة الملازم ايال شمعوني، الذي قُتل في معركة في لبنان، قالت إنها لا تصدق بأن هذا يحدث. وبعد إغلاق البوابة طلبت التحدث وهي جالسة لأن الأمر كان صعباً عليها. لقد تأسفت على أنها لم تتمكن من الذهاب إلى التلة التي قتلت فيها الفتيات السبع على أيدي جندي أردني في 1997. فوق نفس التلة يمكن رؤية أن الأردنيين أقاموا خيمة من أجل الاحتفال الذي سيتم إجراؤه في المكان.

"هذه النقطة الأكثر إيلا ما الآن"، قالت شمعوني التي أقامت موقع التخليد للطالبات. "الألم الأساسي هو أن هذه أرض سلام. منذ قتل الفتيات هذا يرافقتنا، خلال السلام قتلت الفتيات ومع ذلك وصلنا السلام". وقالت: "إن الأردنيين كانوا يأتون كل سنة ويضعون الورود. الآن تلة القتل تم إغلاقها، وهذا مؤلم وفضيع، على الأقل هم عرفوا أنه يوجد سلام وعرفوا أن هذه عملية قتل لأبرياء".

وقالت أيضاً مرة أخرى إن هذا صعب عليها. "يؤلمني جداً أن لا أحد من الحكومة قد جاء. أخذوا منا ألف دونم، ولم يأتوا لقول كلمة عزاء لعائلات الفتيات أو لي. غدا عندما سأتي لري الورود والعناية بالتلة سأرى البوابة مغلقة. لا يمكنني الوصول إلى المكان الذي قتلن فيه. هذا جرح".

بعد عودة القافلة، أغلق جنديان إسرائيليان البوابة الصفراء. وعند الغروب سحب الزوار والمراسلون الكاميرات حيث كان الجنود الأردنيون ينظرون إليهم.

أفنيرون، المزارع من "أشدوت يعقوب"، أرشد آخر المنتزهين. "لقد مر عليّ يوم صعب جداً"، قال، "يتم إغلاق الحاجز فجأة لأن هناك إخلاء. هذا سيستغرقني بضعة أيام كي أستوعب الأمر. الأرض لا يتم تركها، هذه هي المرة الأولى التي في (أشدوت يعقوب) يتم تركها". مثل سكان المنطقة الآخرين كان رون مليئاً بالانتقاد. "لم يأت إلى هنا أي وزير"، قال، "حكومة إسرائيل منذ زمن وهي تثبت رسالة بأن الثمن محتمل وهو غير فضيع". وحسب قوله، هذه هراءات، يجب على أحد ما أن يقف أمام المرأة ويقول: "لم أفعل ما كان يجب عليّ فعله".